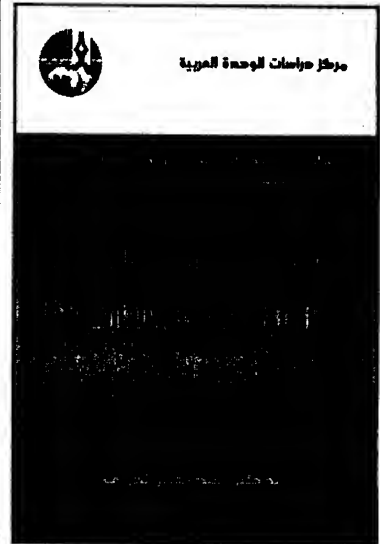


يبحث هذا الكتاب في التاريخ من حيث هو علم ومفهوم ومنهج، وتقنيات، ففي إطار
تدريس التاريخ العربي يسجل المؤلف ملاحظات أساسية توجيهية، من أبرزها، اعتبار تاريخ
الأمة متصل الحلقات، وليس تاريخ أسرت تعاقبت على الحكم، وإنماء الروح العربية،

أوراق في التاريخ والحضارة أوراق في علم التاريخ

وخلق الثقة في نفوس الطلاب، وبث الروح العلمية المتجسدة
في صحة المعلومات، واعتماد التحليل والنقد في فهم العقد
التاريخية، وذلك في أربعة عشر بحثاً.
وفي سياق استجلاء مفهوم التاريخ، جاء بحث المؤلف "نظرة
إلى التاريخ" الذي قدم فيه إطاراً عاماً لأراء المذاهب السياسية
والاجتماعية المختلفة، وموقفها من تفسير التاريخ.
وفي سعيه لبيان خصوصية التاريخ العربي في مضامينه
ومصادره، جاءت بحوثه الثلاثة "كتابة التاريخ العربي"، و"البحث
في التاريخ العربي"، و"فترات التاريخ العربي... نظرة شاملة".
وفي سياق عناية المؤلف بمنهج المؤرخين، جاءت بحوثه
"دراسة في سيرة النبي (ﷺ)" ومؤلفها ابن إسحاق، و"الجغرافيون
العرب وروسيا"، و"كتب الأنساب وتاريخ الجزيرة"، و"ابن خلدون
والعرب"، و"كتابة التاريخ عند العرب"، وتناول فيه فكرة الكتابة
التاريخية العربية، وأهم مناهجها منذ عصر نهضتها في العصر
العباسي إلى العصر الحديث، وأهم المشكلات التي واجهتها.



تأليف: د. عبد العزيز الدوري

الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٩م

عرض: مصطفى فؤاد ■ عدد الصفحات: ٢٢٠ صفحة

الفصل الأول

ملاحظات توجيهية على تدريس

التاريخ العربي

من الضروري أن يدرس التاريخ العربي باعتباره تاريخ أمة متصل الحلقات، وليس تاريخ أسر، تعاقبت على الحكم، كما يجب أن يدرس التاريخ بروح توجيهية دون إغراق، وأن يكون الاتجاه نحو خلق نوع من الشعور بقدرة هذه الأمة على الإنتاج والتقدم، وتقوية الروح العربية في نفس الطالب.

وساعد على تحقيق ذلك، الوقوف عند مواقف البطولة، والتضحية، والمثابرة على العمل في مختلف حقول الحياة، كما أنه من الضروري أن لا يمر البحث بصورة سريعة على العقد الاجتماعية والسياسية في تاريخنا تجنباً للقليل والقال، إذ إنها نقاط ضعف تُعالج بكشفها وتحليلها وإرجاعها إلى أصولها، ولا يستحسن الوقوف على الشخصيات في عرض الحوادث ومناقشتها، بل الأفضل أن تمرض الاتجاهات العامة، ثم يبين أثر هذه الشخصيات من خلال هذا العرض.

ولا يكفي أن يكون التاريخ وصفيًا يسرد الحوادث ويصف ما حدث، بل من الضروري إعطاء شيء من التحليل بذكر المقدمات، وتوضيح النتائج، وعلى المدرس أن يوضح للطلبة أن موضوع التاريخ ليس موضوع ديانة أو عقائد، فالتاريخ يتناول أعمال البشر وتصرفاتهم، ولا يتصل بعلاقاتهم بالله إلا من الناحية التاريخية.

وليتذكر المدرس دائماً أنه لا يدرس مادة جامدة عن أمور ذهبت وانقضت، بل عليه أن يبين

للطلاب أن التاريخ متصل الحلقات، وأن الوضع الحالي هو نتيجة تطورات الماضي، وأن فهم الماضي هو خير وسيلة لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، وعلى المدرس أن يتخذ عدة وسائل تسهل له مهمته، مثل: فهم مستويات طلابه، وحسن استيعاب الكتب المقررة، والعناية بالأسلوب واللغة، والاستعانة بوسائل الإيضاح، والعناية بالمكتبة المدرسية.. وغيرها.

الفصل الثاني

ما ساهم به المؤرخون العرب في المئة سنة

الأخيرة عن الدولة العباسية حتى سنة ١٢٢٤هـ في هذا الفصل، قدم المؤلف عرضاً موجزاً لما جاء في المؤلفات التاريخية العربية الحديثة، ثم أعقب ذلك بعرض شامل للمخطوط الأساسية للموضوع، وكان مما ذكره:

- كتاب "محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية" لمحمد بن عفيفي الباجوري الخضري، وقال بأنه بدأ بمعلومات عن البيت العباسي، ثم تناول انتقال الخلافة في عهد الراشدين إلى عليّ وخلافته، ثم الحسن ونهائته، ثم الفتنة الثانية، ويتدرج إلى حركة المختار ودعوته لمحمد ابن الحنفية، وظهور الكيسانية، ومجيء ابنه أبي هاشم، حتى يصل إلى اتصال أبي مسلم بالعباسيين، وتعيينه لقيادة الحركة في خراسان سنة ١٢٩هـ، ويفصل في تدابير العسكرية، ومناوراتهم مع القبائل حتى دخوله إلى مرو، ثم تقدم القوات العسكرية العباسية، ثم يذكر مجيء أبي العباس إلى الكوفة، وانتصارات العباسيين، ومحاولة الخلافة نقل البيعة إلى العلويين وفشلها، ثم البيعة لأبي العباس.

يرى ابن خلدون أن الحضارة نتاج الجهود البشرية، يورثها شعب لآخر، ويأخذها البدو عن الحضرة ولأمة دورها في الأخذ والإضافة



القديم، ومن قصص القصاص والقصص الشعبي، ومن الحديث، واستعان بالآيات القرآنية، وحتى بالشعر لغرض التوثيق.

ومع أن أكثر أخباره دون إسناد فإنه يعطي أسانيد لبعض رواياته، ويزداد اهتمامه بالأسانيد في مرحلة ما بعد البعث، لتواتر الأحاديث التاريخية، وقوة ابن إسحاق تتجلى في القسم الخاص بالمغازي في المدينة، حيث يغلب الإسناد، ويعتمد ابن إسحاق على أساتذته المدنيين.

الفصل الرابع

الجغرافيون العرب وروسيا

يرى البعض أن بدايات التكوين السياسي في روسيا مرتبط بنشاط الشماليين أو النورمان، ويرى باسكفيج أن الموطن الأول للروس كان على بحر البلطيق، ويسند رأيه بتفاسير للنصوص العربية "في المسعودي، والبيروني، وابن مسكويه، وابن حوقل، إضافة إلى المصادر الأخرى".

وقد جاءت المعلومات العربية عن الروس من ثلاثة مصادر: من شهود عيان مطلعين، ومن تجار، ومن بحوث قام بها جغرافيون، مثل صاحب "حدود العالم"، في مناطق لها صلة مباشرة بالروس.

كتاب "الدولة العباسية.. قيامها وسقوطها" لحسن خليفة، الذي تطرق فيه إلى الدعوة العباسية، فعالج بإيجاز فرق الشيعة، ويأتي إلى الكيسانية، ويشير إلى انتقال الإمامة من أبي هاشم إلى عبد الله بن علي "وأنه عرفه أسرار الدعوة"، وانتقال الكيسانية إلى العباسيين، ثم يبين البدء زمن عمر بن عبد العزيز في مركزي الكوفة وخراسان، ويشعرنا بوجود النقباء الاثني عشر، والدعاة السبعين منذ البداية.

ويشير إلى تكتم الدعاة ومطاردتهم في ولاية أسد بن عبد الله، ويذكر وصية إبراهيم لأبي مسلم "سنة ١٢٧هـ"، واستفادته من العصبية القبلية، وفتكه بالعرب، ويعقب المؤلف بأن ما أورده لا يتعدى معلومات موجزة لا تشمر بأهمية الموضوع، كما في الخضري، وهي بعيدة عن كل تحليل أو إدراك لطبيعة الحركة.

الفصل الثالث

دراسة في سيرة النبي (ﷺ) ومؤلفها ابن

إسحاق

سيرة ابن إسحاق هي أول تاريخ للسيرة وصلنا بإطاره الكامل، وقد وصلت بعد أن هذبها ابن هشام (٢١٨هـ / ٨٢٤م).

نشأ ابن إسحاق في المدينة، حيث درس على شيوخها، وجمع مادته في السيرة والمغازي فيها، ولم يترك المدينة إلى العراق إلا بعد الخامسة والأربعين، ويظهر أن ابن إسحاق لم يكتف بوجهة مدرسة المدينة التاريخية في دراساته، بل جمع مادته من جماعات متباعدة تمثل مختلف اتجاهات الاهتمام بتاريخ ما قبل الإسلام ودور الرسالة، فأخذ من الإسرائيليات ومن القصص العربي

تكوين الشعب وفي إرثه، وأدى هذا الاتجاه إلى الاهتمام بفترات معينة من التاريخ العربي، تلك التي تظهر فيها القوة والازدهار.

الفصل السادس

فلسفة التاريخ

إننا لا نجد فلسفة للتاريخ في العالم القديم، ثم جاءت المسيحية فقدمت التاريخ على هيئة دراما، ببداية ونهاية حددتهما العناية الإلهية، ومرآة موسومة بحوادث لها دلالات، وأنتج هذا التوجيه تفسيراً دينياً كلاسيكياً للتاريخ في مدينة الله للقديس أوغسطين (٤١٢ - ٤٣٠م) امتد أثره إلى قرون، وتمثل في عدد من الكتاب المسيحيين، ووصل حده عند بوسويه سنة ١٦٨١م.

والتاريخ حسب هذا المفهوم، يسير وفق خطة رسمتها العناية الإلهية، وهو تاريخ عالمي يسير في اتجاه واحد، وله هدف يتعدى التاريخ، وهذه النظرية للتاريخ تأخذ صورة ظهور قيام الحكومات والدول وسقوطها، معتمدة في التحليل الأخير على التوجيه الخفي للمشيئة الإلهية.

وبدأ علم التاريخ الحديث بعصر التنوير، وقد سبقه عصر النهضة والرينيسانس ببعض التمهيد، إذ جاء من التراث الكلاسيكي ببعض النماذج الجديدة للكتابة التاريخية، وهياً لبدايات النقد التاريخي، ووضع الإنسان وسط الصورة، وبدأ تحرير التاريخ من الأساطير.

ظهرت الكتابة التاريخية للتنوير في مدرسة فولتير، وهيوم، وجيبون وآخرين في نموذج من التاريخ نظم وقدرت مادته بروح علمية متحررة، ووسعت فعاليتها إلى إطار التاريخ البشري كله، وإلى مختلف عوامل المدنية، وهي - في تفاسيرها

وقد التفت الجغرافيون العرب إلى النواحي الاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى الجغرافيا الطبيعية، ويبدو أن لديهم معلومات عن الروس منذ بدء ظهورهم في شرقي أوروبا.

ومن الجغرافيين العرب الذين تحدثوا عن روسيا ابن خردادبه ٢٣٢هـ / ٩٤٨م، ابن الفقيه ٢٨٩هـ / ٩٠٢م، ابن رسته (٣٠٠هـ / ٩١٢م، الإصطخري ٣١٨ - ٣٢١هـ / ٩٣٠ - ٩٣٣م وغيرهم.

الفصل الخامس

نظرة إلى التاريخ

إن صلة التاريخ وثيقة بالاتجاهات الفكرية، وبالتطورات العامة، يتأثر بها ولا يخلو بدوره من أي تأثير فيها، وهذا يوضح تباين الاتجاهات في تعريف التاريخ، وبالتالي في تحديد دوره، فهناك من يراه البحث عن الحقائق وتدوينها، وهي نظرة تقلب في القرن التاسع عشر بصورة خاصة، وهناك من يعتبره ربط الحقائق وتفسيرها، فالمؤرخ يختار المادة الأولية، ثم يكسبها مفهومها التاريخي. والمؤرخ في الحالين هو محور الموضوع، ولذا ففهم أي دراسة تاريخية يتطلب فهم المؤرخ: اتجاهاته ونظراته.

وهناك فريق يؤكد الصلة والتوازي بين المؤرخ وحقائق التاريخ، فالمؤرخ دون حقائق لا ضرور له، والحقائق دون مؤرخ تبقى دون حياة أو معنى، فالتاريخ هو عملية تفاعل متصل بين المؤرخ وحقائقه، أو "حوار متصل بين الماضي والحاضر". ومنذ فجر النهضة، ذهب البعض إلى دراسة التاريخ العربي لتكوين الثقة بالنفس وبالإمكانات، أو ردًا على الذين رأوا الخمول ظاهرة متأصلة في

دراسة السيرة النبوية، ومتابعة نشأة الأمة الإسلامية وتطورها، وضرورة دراسة الحديث وعلومه.. أهم دوافع كتابة التاريخ



قريش، وبقية مضر، وهكذا خصص للسيرة حوالي "١٠/١" الكتاب، ومثل ذلك للعلوين، وخصص للأمويين حوالي "٣/١" الكتاب، وللعباسيين حوالي "١٦/١"، وبقية مضر أقل من ربه.

الفصل الثامن

ابن خلدون والعرب.. مفهوم الأمة العربية
من خلال أية دراسة لابن خلدون، نلاحظ أمرين: أولهما أن ابن خلدون استوعب التراث العربي الإسلامي وتمثله، والثاني أنه ابن عصره القلق، اكتوى بمشاكله، وحاول أن يفهمه، وأن يعي التحولات التي أدت إليه.

وابن خلدون مؤرخ أولاً، يبدأ بتعريف التاريخ، ويندد بقلة النقد فيه، وضعف أسلوبه لدى أسلافه ليضع قواعد النقد الدقيق، فرأى أن أسلوب الجرح والتعديل في نقد الرواة لا يكفي للتوثق من الروايات، فاهتدى إلى مقياس خارجي هو قانون المطابقة، وهو يقوم على مراعاة أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران، وتوصل إلى علم مستقل بنفسه، وهو "العمران البشري والاجتماع الإنساني" وما يلحقه من العوارض والأحوال.

يرى ابن خلدون أن الأمة تتكون من شعوب

النفسية وفي بحثها عن الأسباب - تخطت العصور القديمة وعصر النهضة.

وظهرت أصوات معارضة لأفكار التنوير في إيطاليا وألمانيا، ثم في إنجلترا. قال فيكو، إن التاريخ هو تاريخ نشوء وتطور المجتمعات البشرية ومؤسساتها، وأعلن مبدأ القيمة الذاتية لكل عصر، إضافة إلى التهيئة للعصر الذي يليه.

الفصل السابع

كتب الأنساب وتاريخ الجزيرة

ظهرت العناية بالأنساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الأول للهجرة، وتمثلت في مرحلتها الأولى بوجود نسابين في كل قبيلة، وبوجود كتب لدى القبائل بأنسابها وأخبارها وأشعارها، وظهر نسابون وسعوا اهتمامهم إلى أكثر من قبيلة، وبدءوا بجمع أنساب القبائل في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، إلى جانب الاهتمام بنسب قريش خاصة، كما ظهر بين النسابين من اهتم بأخبار القبائل مع أنسابها، فأسهموا في الدراسات التاريخية، وفي طليعة هؤلاء: محمد بن السائب الكلبى، ولم تصلنا مؤلفات عن الأنساب إلا من القرن الثالث، في مقدمتها: جمهرة النسب، ثم نسب قريش، وقطعة من "جمهرة نسب قريش وأخبارها" ٢٥٦هـ.

أما كتاب "أنساب الأشراف" للبلاذري، ففيه دراسة شاملة للتاريخ العربي الإسلامي، ومجموعة كبيرة من التراجم في إطار خطة النسب، فهو يبدأ بالسيرة بعد أن يمهّد لها بمقدمة في أنساب العرب ليصلها بأجداد الرسول (ﷺ)، ويتاريخ قريش قبل الإسلام، يليها أبو طالب وأولاده "العلويون"، "والعباسيون"، و"الأمويون"، وبقية

يذكرون مصادر رواياتهم، ومع توسع المؤلفات وتعددتها في القرن الثالث، صار الأخذ من مؤلف سابق يقتصر أحياناً على الإشارة إلى المؤلف دون تكرار إسناده، إلا في حالات الضرورة، ويبدو أن التأكيد في الكتابة كان على الراوي أو المؤرخ لا على المكتوب، نرى ذلك في الأخبار، وبصورة أدق وأشمل في رواية الحديث.

وقد يورد المؤرخ أهم مصادره التي أخذ منها في مطلع تاريخه، وبخاصة في الفترات السابقة لعصره، وذهب بعض المؤرخين إلى تصدير كتبهم بقائمة فيها إشارة إلى عدد من الكتب التي تعنى بمواضيع الكتاب.

الفصل العاشر

كتابة التاريخ العربي

إن الكتابة التاريخية وثيقة الصلة بالتطورات الفكرية والعامة، تتأثر بها وتؤثر فيها، والتاريخ لا يكتب كعمل أكاديمي فحسب، بل يفترض فيه أن يكون متصلاً ببناء مجتمعه، شأنه شأن أي حقل للمعرفة.

وكان لموقع الجزيرة العربية والبلدان العربية الجغرافي أثره الكبير في التاريخ؛ ذلك أنها تقع على طرق التجارة الدولية بين الشرق والأقصى، وحوض البحر الأبيض، فقامت بأدوار مهمة في الوساطة التجارية، وفي المشاركة في التجارة الدولية، وكان لهذا الموقع، من ناحية أخرى، أثره في تعرض هذه البلدان للغزو الخارجي في فترات التاريخ.

هذه العناصر الجغرافية والفكرية والعامة وغيرها هي التي وقفت وراء تكوين أمة عربية في التاريخ، تحددت ملامحها بعد أن تجاوزت الدولة

وقبائل، مذكراً بالآية الكريمة ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣).

وهو في حديثه عن العرب كأمة يتابع سيرتها التاريخية، فيقسم العرب إلى طبقات حسب تتابعهم على مسرح التاريخ: العرب العاربة أو البائدة، والعرب المستعمرية "من حمير، وكهلان، ومن إليهم"، والعرب التابعة للعرب "أولاد إسماعيل"، وهو في ذلك لا يخرج عن نظرة النسابين العرب عامة وتقسيماتهم، ليضيف العرب المستعجمة، كما يصف عرب العصر.

الفصل التاسع

كتابة التاريخ عند العرب.. الفكرة والمنهج

بدأت دراسة التاريخ وكتابته منذ القرن الأول الهجري، ومرت بفترة تكوين استمرت ثلاثة قرون أو أربعة، وضعت فيهما الخطوط والمفاهيم الأساسية في كتابة التاريخ، ولكن القرون التالية شهدت إضافات مهمة، وهناك دوافع متعددة لكتابة التاريخ، في مقدمتها دراسة السيرة النبوية، ثم متابعة نشأة الأمة الإسلامية وتطورها، والحاجات الإدارية والاجتماعية، وضرورات دراسة الحديث والفقه، وأخبار أعلام الأمة، بدءاً بالصحابة والتابعين.

أما أسلوب الكتابة أو المنهج، فقد ارتفع عن النهج القصصي بالتأثر بأسلوب رواية الحديث ونقده، ومن هنا تكون الأهمية الخاصة لمعرفة الرواة ومصادر المعلومات وسلسلة الإسناد، دون إغفال محتوى الرواية.

ويلاحظ في المنهج أن المؤرخين الأولين كانوا

**لا يكفي أن يكون التاريخ وصفيًا يسرد الحوادث
ويصف ما حدث، بل من الضروري إعطاء شيء
من التحليل بذكر المقدمات وتوضيح النتائج**



والمفاهيم الحديثة على كتابة التاريخ، وفي القرن الأخير، بدأت الكتابة التاريخية تتخذ بالتدريج اتجاهاتها الحالية، ويبدو ذلك في أسلوب الكتابة، وفي التوثيق، وفي اختيار الموضوعات، وفي النظرة إلى التاريخ.

وصارت دوافع الكتابة التاريخية متباينة، لعل أولها الوعي العربي، والشعور بأهمية التاريخ في التكوين الوطني والقومي وفي النهضة.

والكتابة التاريخية متعددة الجوانب، فهناك تواريخ عامة للعرب في الإسلام، وتاريخ العرب قبل الإسلام، وقد تتناول الكتابة فترات أو عصورًا للتاريخ العربي قبل الإسلام وبعده.

الفصل الثاني عشر

فترات التاريخ العربي: نظرة شاملة

اتخذ العرب للتاريخ صورًا من التقسيم إلى فترات، أبرزها اعتبار ظهور الإسلام حدثًا فاصلاً بين فترتين في التاريخ: فترة ما قبل الإسلام، والفترة الإسلامية، وكانت الفترة الأولى تشمل الأمم المختلفة المعروفة أو بعضها (تاريخ العرب قبل الإسلام)، وقد تناولتها كتب التاريخ كفترتين: الجاهلية الأولى، والجاهلية المتأخرة، والتاريخ بعد ظهور الإسلام يتجه إلى الأمة الإسلامية، وقد تناولتها كتب التاريخ في ثلاث حقب:

التي تكونت بالإسلام أوج قوتها.

وللأمة العربية تراث غني في الكتابة التاريخية، وكما أن المفاهيم التاريخية وفلسفات التاريخ الغربي تتصل أساسًا بتطور المجتمعات الغربية وبالفكر الغربي، فإن المفاهيم والأفكار التاريخية العربية "الإسلامية" تتصل بتطور المجتمعات الثقافية العربية الإسلامية في فترات ماضية، وإن مرت بفترة ركود في عصور تالية، وهي ما تزال تؤثر في الكتابة التاريخية.

ولئن كانت الكتابة في القرون الأولى تتناول الفترات الماضية، دون أن تمس التاريخ المعاصر، فإنها راحت في فترات تالية "القرن الرابع وما يليه"، تكتفي بخلاصات من المؤرخين السابقين عن الفترات الماضية لتتوسع في الفترة المعاصرة، وفي الفترة الحديثة كتب الكثير في التاريخ العربي دون أن يكون له منطلق، ولكن الاتجاه قوي في العقود الأخيرة نحو الكتابة من منطلق أو آخر.

الفصل الحادي عشر

البحث في التاريخ العربي

الكتابة التاريخية في فترة التكوين (٤٠١هـ/ ١٠٠٧م) تؤكد دور الإرادة والمسؤولية البشرية في التاريخ، وفيما بعد برز الاتجاه إلى أن الأعمال والأحداث مقدر، ولا مجال للإرادة أو الحرية فيها، هذا هو الاتجاه الذي روجت له السلطة منذ الفترة الأموية، ولكنه لم يظهر إلا بعد رسوخ الاستبداد في السلطة.

ومرت فترة ركود بين القرن ١٦ و ١٩ الميلاديين، ومع بدايات النهضة الثقافية في القرن ١٩ الميلادي تجدد الاهتمام بالكتابة التاريخية، وبعد الاتصال بالثقافة الغربية بدأ تأثير الآراء

ويلاحظ أن أبا الفداء مع التفاته إلى الشؤون العسكرية والعامة، كان يُعنى بالنواحي الفكرية.

تبدو أهمية تاريخ أبي الفداء فيما يورده من تفاسير لبعض الأحداث، مثل الحملة على جبال الظيئين، إضافة إلى معلومات يتفرد بها، مما يكسب مختصره في قسمة الأخير أهمية خاصة، بالإضافة إلى أخباره عن حملات ساهم فيها، وعن شؤون اطلع عليها مباشرة.

الفصل الرابع عشر

ابن خلدون والعرب.. البداوة والحضارة

يعتبر ابن خلدون التجارة والصناعة مميزات الحضارة، ويدخل العلوم بأصنافها في مجموع الصنائع، ويعتبر أمر تربية الحيوان ورعيه والفلاحة - إلى حد ما - هي ميزات البداوة، لذا فإنه يرى أن البداوة مرحلة طبيعية تسبق الحضارة، وتنتهي بها، وهذا الانتقال يكون بالتمدن، ولذا نجد التمدن هو غاية البدوي.

كما يرى أن الحضارة نتاج الجهود البشرية، يورثه شعب لآخر، ويأخذه البدو عن الحضرة، وللأمة دورها في الأخذ والإضافة، وهذا شأن العرب في المجهود الحضاري.

ويؤكد أن الذين نبغوا في الحضارة الإسلامية في العجم هم الذين تمرّبوا وأجادوا العربية، فهم وإن انتسبوا أصلاً إلى العجم، فإنهم عرب في الثقافة واللغة.

ويحمل ابن خلدون راية الحضارة، ويرى أن البداوة - على ما فيها من مميزات - عامل تخريب أو شلّ للفعاليات الحضارية، في حين يرى أن رسالة الإسلام هي رسالة الحضارة والتمدن الحقيقي ■

أولاً، بين ظهور الإسلام والقرن الخامس الهجري.

ثانياً، بين القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والقرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

ثالثاً، بين القرن العاشر/ السادس عشر، والقرن الرابع عشر الهجري، العشرين الميلادي.

الفصل الثالث عشر

أبو الفداء وتاريخه

يتمثل أبو الفداء في كتابة "المختصر في أخبار البشر" العودة إلى التاريخ العالمي، إلى جانب التاريخ العام، ويجمع بين خطي التاريخ والتراجم، إذ يقرن تسجيل الأحداث بالتراجم على الوفيات. وقد اتخذ أبو الفداء خط ابن الأثير في الاهتمام بالأحداث، وفي جعل التراجم ملاحظات قصيرة عادة.

وأفاد أبو الفداء من مصادر أخرى غير ابن الأثير، فقد أخذ عن الشهرستاني وابن إسحاق - صاحب السيرة - وابن النديم "تاريخ حلب"، وغيرهم.

ويحاول أبو الفداء أن يدقق في تاريخ الفترة السابقة للإسلام، كما شكك في أخبار الطبقة الأولى من ملوك الفرس "الفيشداوية" وتواريخهم فأهمّلها.

وكلما يقترب أبو الفداء من عصره يكثر من الإيجاز والحذف في شؤون المشرق إلا فيما يختص بالمغول، وهو يركز - بعد الربع الأول للقرن السابع الهجري - على الشام ومصر، مع إشارات خاصة إلى حماة، كما يهتم بالتتر وصراع الخوارزمية معهم.